لماذا.. نساعد زائير عسكريا؟!

في التاريخ العربي فتاة عرفت باسم « زرقاء اليمامة » كانت عيونها ترى أبعد مما يرى الناس جميعاً، من مسافات بعيدة.. بعيدة جداً. فتحذر قومها من الخطر وهو بعيد ليخرجوا إليه قبل أن يفاجئهم. والدبلوماسية المصرية الحديثة تعيد - بعقلها وحساباتها هذه المرة - عصر زرقاء اليمامة. فهي ترى خطراً في « الدم الأحمر » المراق على أرض زائير. فتحذر منه قبل أن يفيض ويلتقي مع أنهار « الدماء الحمراء » التي تريقها المشانق والرصاص في ليبيا وأثيوبيا، ثم تتسلل إلى مياه النيل فتصبغها بلون « الدم الأحمر » وتحملها مرجاته الرقيقة إلى القاهرة.. فتصيبنا بالتسمم.

الرئيس جعفر نميري
- محاولات لتطويق السودان

اسماعيل فهمي
نظره إلى الخطر البعيد

إبراهيم صالح

●● هذه - باختصار - هي إجابة السؤال الذي طرح نفسه سياسياً وعسكرياً في القاهرة هذا الأسبوع، وهو.. لماذا نساعد زائير عسكرياً؟.. وأجاب عليه إسماعيل فهمي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، والفريق أول محمد عبد الغني الجمسي نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية والإنتاج الحربي، في اجتماع مشترك للجان الشئون الخارجية والأمن القومي والشئون العربية بمجلس الشعب.

ومن تابع البيانين اللذين ألقاهما فهمي والفريق الجمسي في ذلك الاجتماع، يخرج بدراسة شائقة ومفيدة للمبادىء الأساسية في الاستراتيجية السياسية والعسكرية التي تتحرك وفقاً لها أية دولة، والدوائر التي تتحرك فيها مصر تطبيقاً لهذه المبادىء، وموقع زائير بالذات في هذه الدوائر.. وبالتالي الأسباب التي تجعل مساعدة مصر لها جزءاً من إجراءات الأمن القومي لنا ودعماً لكفاحنا من أجل تحرير الأرض وإقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط.

ثلاثة مبادىء

فهناك ثلاثة مبادىء أساسية تحكم السياسة الخارجية لأية دولة.

١ - الأمن القومي المباشر: سواء كان داخلياً أو خارجياً. وهو يواجه أي خطر يهدد الأرض الداخلة في الحدود الدولية الرسمية للدولة. وهو يعتبر اعتداء مباشراً على استقلالها وسيادتها وشئونها الداخلية. ومن حق الدولة أن تدافع ضده حكومة وشعباً وقوات مسلحة، بكل الوسائل الممكنة وبأقصى طاقاتها المتاحة والتي تستطيع أن تحصل عليها.

٢ - الأمن القومي الاستراتيجي: وهو يواجه خطراً غير مباشر على الدولة صاحبة المصلحة. ولكنه خطر يهدد بلداً في الدائرة المحيطة بها وله حدود مشتركة معها. وإذا ترك يتصر في ذلك البلد فسيتحول إلى خطر مباشر على البلد صاحب المصلحة.

٣ - الأمن الاستراتيجي العام: وحدوده خط غير مرئي يمر بدائرة أبعد مدى من الدائرة الأولى. الخطر في هذه الدائرة يهدد بلاد الدائرة الأولى من البلد صاحب المصلحة. بحيث إذا انتقل الخطر إليه أصبح يشكل خطراً على البلد صاحب المصلحة.

وقد نشأت هذه النقطة في علم السياسة الحديث بعد التطور التكنولوجي الرهيب في الأسلحة، وفي أساليب الغزو العسكري أو العدواني. أصبح الخطر يتنقل مسافات بعيدة جداً في « غمضة عين » وأصبح الغزو لا يتم علانية على دقات الطبول وفي استعراض للقوة.. وإنما يتسلل من « تحت عقب الباب » كما يقولون.

وفي مواجهة هذا التطور نشأ ما يسمى « التحرك المانع » أو « التحرك الدفاعي ». فلم تعد الدول تستطيع أن تنتظر داخل حدودها حتى يصل إليها الخطر لتدفعه. فالتطور الحديث قد يجعل، بل غالباً ما يجعل الضربة الأولى غير مردودة. ومن هنا أصبح لزاماً على الدول أن تنظر خوفاً إلى بعيد تدرس الأخطار البعيدة، وسرعة حركتها، واتجاه تحركها. فإذا وجدت أنها قد تتطور في المستقبل إلى خطر عليها، ففي هذه الحالة يجب أن تتحرك هي إليها.. هناك، تروقفها عند حدها.. البعيد.

سيناء.. أمننا القومي

والسياسة المصرية الخارجية في تحركها العلمي تتحرك وفقاً لهذه المبادىء الثلاثة. وفي الدوائر الخاصة بمصر وفقاً لها.

● ولا شك أن أمننا القومي يتمثل بالدرجة الأولى في أن أرضنا ما تزال محتلة في سيناء، والأرض العربية ما تزال محتلة، وتصفية الشرق الأوسط تحل بعد، ولم يرفرف السلام الدائم والعادل في المنطقة.

ومن أجل هذا فإن كل إمكانياتنا السياسية والعسكرية والاقتصادية معبأة كلها لهذا الهدف.. وحده.

ومن أجل هذا يجب ألا نسمح لأية دولة.. قريبة أو بعيدة، من المنطقة أو من « خارج المنطقة »... من وراء البحار، يجب ألا نسمح لها أن تحول نظرنا وإمكانياتنا عن هذا الهدف. والاستراد المنطق لهذا هو الذي يجعلنا نساعد زائير كما سنرى فيما بعد.

● وفي دائرة الأمن القومي الاستراتيجي، فإننا إذا نظرنا حولنا في البلاد المحيطة بنا فإننا نرى ونحس بتحركات وأوضاع غير مطمئنة. أوضاع لو تطورت لأصبحت تشكل خطراً مباشراً على أمن مصر القومي وحدودها الدولية. مثل المحاولات التي جدت في السودان مثلاً. من أجل هذا وقفت مصر مع السودان بكل إمكانياتها في هذه المحاولات. ومن أجل هذا ولد اتفاق الدفاع المشترك بين مصر والسودان. فإن أية حركة مضادة أو معادية ضد السودان، تهدد بصورة مباشرة حدود مصر الدولية، ومصالحها الحيوية في مياه النيل المشتركة مع السودان.

● وبالتالي، وفي الدائرة الأوسع، دائرة الأمن الاستراتيجي العام، فإن أي تخلخل سياسي أو عمل عدائي في بلد أبعد في قلب القارة الأفريقية مثلاً، مثل زائير، يعتبر خطراً غير مباشر على مصر، ماداام يهدد بصورة مباشرة حدود السودان الدولية، أو يستكمل حلقات الحصار حوله. فالحرص على استقرار مثل هذا البلد، هو حماية مباشرة للسودان، وغير مباشرة لمصر.. قبل أن تتحول إلى خطر مباشر.

إذن.. لهذا نساعدها

رأينا إذن موقع زائير في الدوائر الاستراتيجية لأمن مصر. ولهذا.. ولأسباب كثيرة نساعدها.

١ - فهي أولاً بلد أفريقي. ومصر، وكل بلد أفريقي، ملتزم بمساعدة أي بلد أفريقي آخر يتعرض للخطر. بمقتضى مبثاق الوحدة الأفريقية.

٢ - إذا لم يغب عن ذهننا التشابه في أسلوب إراقة « الدم الأحمر » في كل من زائير وليبيا وأثيوبيا والمحاولة السابقة في السودان، وإذا وضعنا خريطة أفريقيا أمامنا، نكتشف أن هذه الدول الثلاث تشكل حزاماً حول السودان، مما يشكل خطراً مستقبلاً على مصر. وبالتالي يجب كسر هذا الحزام، وعسكرياً فإن زائير أضعف وأنسب نقطة حالياً.

٣ ـ انتصار الخطر فى زائير معناه تهديد منابع النيل. وفى النيل حياة مصر.. أو موتها.

٤ ـ إذا أصبح السودان مهدداً بخطر مباشر وقوى. فقد نجد مصر نفسها مضطرة، سواء بمقتضى اتفاق الدفاع المشترك أو أمنها الاستراتيجي، إلى القتال بكامل طاقتها فى الجنوب كاشفة صدرها فى الشمال. وقد يكون

الفريق أول محمد الجمسى
قواتنا محتفظة بكفاءتها

هذا أحد أهداف «الخطر» المتسلل إلى أفريقيا. إذن يجب ألا نترك الموقف بنصاعده إلى هذا الحد. وبالتالى يجب أن ينوقف الخطر فى زائير.. لينتهى هناك.

٥ ـ إن الرئيس موبوتو كان له موقف مشرف مع مصر ضد إسرائيل رغم أنها كانت متغلغلة هناك. ومن غير المعقول ألا نقف معه نفس الموقف عندما يستغيث بنا.

٦ ـ إن مصر ضد كل محاولات التدخل الخارجى فى أفريقيا ومحاولات تقسيم دولها للسيطرة عليها. ونفس هذه المحاولة فى نفس البلد قام بها تشومبى عام ١٩٦٠. وبومبها اعترضت مصر أيضاً، وبومبها «كان» الاتحاد السوفيتى ضد التدخل الخارجى المسلح. والآن تتكرر نفس المحاولة. فقط.. تغير «اللون» ولكن لون أفريقيا سيبقى دائماً ولن يصبغه أحد بلونه.

• • وكيف نساعدها؟

•• والآن.. كيف ساعدنا زائير؟.. وهل تؤثر مساعدتنا لها على كفاءة تحركنا فى الدوائر الأخرى لأمننا الاستراتيجي؟..

لقد بدأ العدوان على زائير منذ ٧٥ يوماً. وعندما اكتشف الرئيس موبوتو أن الموقف دخلت فيه «أصابع أجنبية» من خارج القارة الأفريقية، طلب المساعدة من أشقائه العرب والأفارقة.

ولم تصدر مصر قراراً فورياً عشوائياً. ولكنها أيضاً لم تتلكأ. بدأت فوراً دراساتها وحساباتها.

دراسة سياسية تمت هنا فى القاهرة، وقامت بها الأجهزة الدبلوماسية لتقدير الموقف الدولى.

دراسة للموقف العسكرى تمت هناك فى زائير.. فى أرض المعركة، وقامت بها لجنة عسكرية مصرية.

● وانتهت الدراسات إلى نتيجة محسوبة.

بالنسبة للموقف الدولى، وللأسباب السياسية والاستراتيجية التى ذكرتها من قبل فإن مصر يجب أن تمد يد العون إلى زائير.

بالنسبة للمساعدة العسكرية فإن هناك اعتبارات حكمت نوعها وحجمها:

١ ـ أى مساعدة عسكرية تقرر السياسة المصرية تقديمها لزائير يجب ألا تؤثر فى كفاءة القوات المسلحة المصرية فى مواجهة معركتها الرئيسية وواجبها الأساسى فى تحرير الأرض المصرية المحتلة.

٢ ـ لبست زائير فى حاجة إلى قوات برية فإن قواتها الشعبية والقوات التى أمدتها بها المغرب كافية لمواجهة الموقف هناك. وهو يتطور بالفعل لصالح زائير يوماً بوم.

٣ ـ إن هذه القوات فى حاجة إلى تشغيل السلاح الجوى الزائيرى بكفاءة حتى يتوفر لها غطاء جوى قوى يعطيها ميزة على المتمردين والمرتزقة.

٤ ـ إن زائير فى حاجة إلى طاقم طبى متخصص وخاصة فى مجال الجراحة. فإن بعض الإصابات لو وجدت العلاج الطبي المتفوق والسريع، لعادت مرة أخرى سلاحاً فى المعركة، بينما إهمالها قد يخرجها إلى الأبد من المعركة.. وربما من الحياة.

وأعلن الرئيس القرار

وفى أول مايو فى مدينة الإسكندرية، جمع الرئيس أنور السادات مجلس الوزراء، وعرض عليهم نتائج الدراسات السياسية والعسكرية. وبنفس الجرأة التى اتخذ بها قرار حرب أكتوبر.. عرض قراره بمساعدة زائير. ووافق مجلس الوزراء بالإجماع.

وبدأ التنفيذ فوراً. وأعطت المساعدة المصرية دفعة قوية لمسرح زائير فى الحياة، والاستقلال، والسيادة، ونضالها الفرص أمام «الخطر» المتسلل من خارج أفريقيا.

ومازالت السياسة المصرية تدور فى المنطقة ـ بعقلها وحساباتها ـ ترصد الأخطار البعيدة المتسللة، محذرة منها قبل أن يستفحل أمرها أو تقترب خطاها.. مستعيدة للعرب عصر زرقاء اليمامة فى.. النظر بعيد المدى!

●

ماذا بعد فوز ليكود؟

•• ما معنى فوز كتلة «ليكود» المعارضة لأول مرة منذ ٢٩ عاما، على حزب العمل الحاكم فى انتخابات الكنيست التاسع. التى كانت أعنف انتخابات شرسة تشهدها إسرائيل.. وهل سيؤثر هذا على مباحثات السلام التى ستنعقد فى جنيف. وما الأسرار الخفية التى كان لها الدور الأساسى فى إعلان هذه النتيجة التى كانت متوقعة بالنسبة لقياس الرأى العام الإسرائيلى قبل إجراء عملية الانتخابات مباشرة؟..

•• ماذا تعرف عن تكتل الليكود؟.

حتى الانتخابات الأخيرة عام ٧٣ كان هذا التجمع يدعى «جاحال» فى عام ١٩٦١ اندمج حزبا الصهيونى العام، والتقدمى وأصبحا حزب الأحرار. وفى عام ١٩٦٥ اندمج حزبا الأحرار وحيروت وأصبحا حزبا جاحال. وحيروت حزب يمينى متطرف أفرزته منظمة «أرجون» الإرهابية التى قامت بمذبحة دير ياسين، وقتلت الكونت فولك برناردوت. وكان «جاحال» يشترك فى الحكومة الائتلافية حتى أغسطس ١٩٧٠ حين قبلت إسرائيل مشروع روجرز، وكان الحزب يعارض مثل هذا المشروع. ثم انتقل الحزب إلى المعارضة وخاض انتخابات ١٩٧٣ باسم تكتل ليكود. وفاز بـ ٣٩ مقعدا. وزعيمه هو مناحيم بيجين، ورئيس عصابة «أرجون» الإرهابية سابقا.

> وكانت مجلة «أكتوبر» قد انفردت فى نوفمبر ٧٦ بنشر تقرير عن احتمال فوز تكتل ليكود فى انتخابات الكنيست، وقد أعلن مناحيم بيجين، فى ذلك الوقت أنه سيتولى رئاسة الوزراء.

وقد كشفت عن أسرار مادار فى كواليس تكتل «ليكود» الفاشستى وذلك عندما بدأت قيادة «ليكود» تصفى كل الخلافات فى الرأى، والنزاعات الجانبية. وتشكلت لجنة برئاسة «عازار وايزمان» قائد السلاح الجوى الإسرائيلى السابق. وأحد أقطاب حركة «حيروت» الفاشستية. ومهمة هذه اللجنة اختيار الشخصيات التى تتولى المناصب الكبرى فى حالة فوز التكتل اليمينى فى الكنيست وقد فاز الحزب أخيرا

والاتجاه الواضح الآن هو اختيار مناحيم بيجين رئيسا لوزراء إسرائيل. وعلاوة على ذلك فربما يتولى وزارة الخارجية، وهو تقليد جديد لم تشهده إسرائيل من قبل.

وطوال المعركة الانتخابية الرهيبة التى حصل فيها التكتل الليكودى على ٤٣ مقعدا. بينما حصل حزب العمل الحاكم طوال ٢٩ عاما على ٣٢ مقعدا. وحصل حزب الديموقراطيين من أجل التغيير الذى يرأسه بادلين على ٦ مقاعد. وحصل الحزب الشيوعى على مقعدين، والحزب الشيوعى على ٤ مقاعد. كان تكتل ليكود طوال المعركة ينهج خطا إعلاميا جديدا. وهو التركيز على قضايا ومشاكل المجتمع الإسرائيلى، فى محاولة لمحو الانطباع السائد فى الرأى العام الإسرائيلى بأن التكتل اليمينى يحمل سمة الصقور، دعاة التطرف والتوسع على حساب الأرض العربية.

بالإضافة إلى الفرصة الذهبية التى لن تعوض وهى انهيار البناء الداخلى لكيان الزعامة لحزب العمل الحاكم. والمواطن الإسرائيلى الذى غرروا به.. ولق مصرعه فوق أرض سيناء والجولان. بحجة تدعيم «نظرية الأمن الإسرائيلى». اكتشف هذا المواطن.. أن كل ما حوله زيف وبهتان. واكتشف الحقيقة المرة التى يعيشها داخل المجتمع الإسرائيلى العنصرى. فهاجر الآلاف منهم إلى خارج إسرائيل. أما من بقوا.. فقد وقفوا فى حيرة. إنهم لا يريدون حزب الوجوه التى دفعت بهم إلى الانهيار. وإنما يريدون وجوها جديدة.. تسعى للسلام.

•• ولكن..

نتساءل.. كما يتساءل الكثيرون..

•• هل نجاح تكتل «ليكود» معناه أن القدر قد حكم على إسرائيل أن تعيش جيلا بعد الآخر فى دوامة الحرب؟؟..

أعتقد أن الدرس الذى تلقته إسرائيل فى السادس من أكتوبر.. بزعامة حزب العمل الحاكم.. خير إجابة لكل من تسول له نفسه أن يسعى للحرب مرة أخرى حتى المناخ العالمى قد تغير بصورة جذرية فقد أعلن الرئيس الأمريكى جيمى كارتر بعد تفهم جذور القضية الفلسطينية، أنه لا سلام إلا بإنشاء دولة فلسطين، وأن تنسحب إسرائيل إلى حدود عام ٦٧. فهل سيقوم تكتل ليكود بعد نجاحه، بتحقيق السلام.. أم سيقف ضد كل مساعى السلام العالمى. إن الأيام القادمة الخطيرة ستحدد الإجابة على علامة الاستفهام الكبيرة.. سلام.. أم حرب؟!!

فتحى الابيارى